

النفائس

مجموعة لطائف وفكاهات

تصدر مرة في الاسبوع

لمنشئها

خليل بيدس

الاحد في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٠٨

المقابلة

كان ثاب يتناول طعام الظهر في احد مطاعم برلين وقد جلس الى مائدة منفردة واخذ يلتهم طعامه بسرعة مما دلَّ على شرود افكاره واستغراقه في تأملات شتى . ولما فرغ من الطعام دفع ما عليه وخرج فأبصر عربة فارغة استوقفها وقفز اليها وامر الخوذي ان يسير به الى الساحة الكبرى في القسم الجنوبي من المدينة . ولما استوى في العربة اخرج من جيبه رقعة نشرها وقرأ ما يأتي (سألني طلبك . وابدأ لمشاهدتك نهار الاثنين من الاسبوع القادم الساعة الرابعة بعد الظهر في

الساحة المعينة كائنته هيلدا) ثم طوى ارقعة المذكورة وامعن
في الافكار والتصورات

*

لم يبق له الا ربع ساعة حتى يصل الى الساحة وهناك يقابلها
يقابل (هيلدا) التي قد مضى عليه الى ذلك الزمان ست سنوات
دون ان يراها وهي التي احبها قبل ذلك العهد باربع سنوات ووقف
عليها جميع عواطفه وامياله واحلها من قلبه في شغافه . مضت هذه المدة
الطويلة وقد تغير كل شيء . اما هو فقد كان آنذ في شرح الشباب
ومنتهى النضارة . غير ان الاقدار لم تخدمه والسعادة لم تملئه . فانه
كان محترفاً صناعة التصوير غير انه كان كغيره من الوف الالوف من
اهل هذه الصناعة فلم يشتهر ولم يكافأ بشيء من المكاسب ليوسع بها
نطاق عمله ويستطيع مسابقة النظراء والانداد . ومع هذا فقد ادمن
العمل وكان يجد في كثرة الشغل عزاءً وسلواناً وآماله منوطة بالمستقبل .
وكان قاطناً في القسم الجنوبي من المدينة في الطبقة الرابعة من بناء
كبير هناك يسكنه كثيرون من ارباب الصناعات . واما هيلدا فكانت
ساكنة في الطبقة الثالثة من البناء المذكور . وهي ابنة نجار رقيق
الحال وعمرها اذ ذاك ست عشرة سنة وقد زينتها الطبيعة بابهى حلل
الجمال وجعلت في عينيها نظرات هي السحر الحلال . فكان المصور
يلتقي بها في اكثر الاحيان فيتطارحان اطراف الاحاديث ويقطعان

الايوات بلا ضجر ولا سامة . ومن ذلك الحين اخذت الالفه تصل اسبابها بينهما ثم تحوَّات الى حب فغرام فهيام . بيد ان الدهر ابي الا ان يفرق بينهما فلبى كل منهما هذا القضاء المبرم واقتربا عن بعضهما بداعي الضرورة والاحتياج

وبعد بضع سنوات عاد المصوّر الى برلين وقد احرز بعض الشهرة والتفنن . وما التى عصاه في هذه المدينة حتى اخذ يبحث عن مالكة فؤاده ويستقصي اخبارها في جميع احياء المدينة فلم يجدها وقد وقع ذلك عليه وقوع الصاعقة . ولبت بعد ذلك مدة يتنسم اخبارها فلم يقف لها على اثر . فجزم بانها ماتت او هاجرت الى حيث لا يعلم . وبعد ربح من الزمن تعرف بفتاة اخرى . لا ثقل حسناً وجمالاً عن هيلدا فتواددا ولم يلبثا ان اقتربا ببعضهما واخذا يقضيان الايام على اتم صفاء وهناء

غير ان المصوّر لم ينس هيلدا لان صورتها كانت لم تزل في ذهنه فكان اذا تذكرها يقضي الساعات الطوال مستغرقاً متاملاً . وبعض الاحيان كان يضيق به المكان فيخرج الى ظاهر المدينة ليتنفس الصعداء ويمعن في الخيال . وما زال كذلك حتى ضاقت الدنيا في وجهه ولم يعد يطيب له مقام او يهنا له عيش وهو يود من لباب قلبه ان يعرف ما صارت اليه هيلدا اهي ميتة ام في عالم الاحياء اما زوجته فكانت تلحظ فيه هذا القلق والارتباك فتختار وترغب في

ان يطلعها على حقيقة حاله . فافضى اليها زوجها اخيراً بحبه السابق
واعتذر اليها لانه لم يطلعها على سر قلبه حال تعرفه بها وسألها ان
تعضده وتساعدده لافراج هذه الكربة . فعذرتة زوجته بيد انها لم تمالك
نفسها عن البكاء . وكانت كلما راته قلقتا تذرف الدموع السخينة فيزداد
هو اضطراباً وحيرة . واخيراً عزم على ان يرحل من برلين ويخمد الى
السكينة والهدوء في احدى القرى المجاورة لعله بذلك يسلم ما استود
عليه من الهموم والهواجس واخذ مذ ذاك يجهز نفسه للرحيل

واتفق في بعض الايام انه التقى باحد اصدقائه الذين عرفوا تاريخ
حياته السابقة فاستوقفه هذا الصديق واباه بان هيلدا قد عادت الى
برلين وانها تزوجت . فانتفض المصور لدى سماعه ذلك كانه لم يكن
يتوقع ان تزوج هيلدا بل كان ينتظر بقاءها عزباء ثم
استنبأ عنوانها وكتب اليها يلتمس منها ان تاذن له بمشاهدتها لانه
عازم على مغادرة برلين وقد عرف انها تزوجت واعلمها ايضاً بزواجه
وفي اليوم التالي وصله منها جواب رسالته فبادر الى المحل المعين
للاجتماع على ما مرّ بك

*

ولما وصل جاك — اسم المصور — الى الساحة رأى هيلدا
في انتظاره فوثب من العربة واقبل اليها وهو لا يصدق
ان يراها . ثم دنا منها وقلبه يخفق واطرافه ترتجف وحياتها

مصالحاً فردت في عايه التحية وصاغت يدها مرتجفة وقد علتها حمرة الخجل فاطرقت الى الارض . ثم سار الاثنان في الساحة صامتين هاجسين كأن الواحد منهما لا يعرف الآخر قط . واخيراً اخترقت هيلدا حجاب الصمت قائلة - اتذكر كيف كنت سابقاً تكره الزواج وتعهده ضرباً من العذاب فكيف نسيت كل ذلك وتزوجت ؟

فقال لها جاك - قد جرى ما لم يكن في الحسبان . . والان اين تريد ان يا هيلدا ان نقضي بعض الوقت ؟ كنا قبلاً نحب الجلوس في حديقة المطعم عند اقصى الدار فهل تودين ان ننطلق اليها الان ايضاً ؟

قالت - لا بأس من ذلك فلنذهب الى هناك لتذكر الاوقات التي قضيناها معاً في هذه البساتين

قال - نعم واني اذكرك يا هيلدا كل حديث كنا نتداواه ولا سيما ما كان عن الرياحين والورود . فحقاً ان تلك الايام كانت لنا ايام ربيع وورود بل هي ايام ربيع حياتنا وقد انقضى هذا الربيع واقبل الشتاء الدائم . شتاء الهموم الذي لا يتقضي

ثم نظر الاثنان الى بعضهما وتنهذا وكانا قد وصلا الى حديقة المطعم المشار اليها فاتخذا لهما محلاً في اقصى الحديقة وطلبا زجاجة من شراب الشامبانيا ولما تناول كل منهما قدحاً قال جاك - اتذكرين يا هيلدا اول كأس شربناها من هذا الشراب

اني لم اشرب بعد ذلك كأساً بلذتها
قالت — وانا كذلك . ثم شرب الاثنان نخب ذكرى ايامهما
السالفة . نخب حدائتهما وقلبيهما

بعد هذا نظر جاك الى هيلدا بملء الشوق والهيام وقال — اني
قد احببتك يا هيلدا بكل ما في جسدي من الحياة وما في حياتي من
قوة الحب . وقد كان قلبي قبل ان عرفتك صحيفة بيضاء فانت اول
من خط فيها آية الحب . وكاني بك الان وقد جئت لأول مرة الى
هذا المكان وكان عمرك وقتئذ ستة عشر عاماً وانا كنت احسب
نفسي رافائيل او ميكل انجلو او غيرها من مشاهير المصورين . فكنت
جالساً بازائك في هذا الفردوس البهيج سعيداً للغاية . واذكر كيف اني
دنوت منك وهمست في اذنك (ما اجملك يا هيلدا)

ثم انقطع جاك عن الحديث ونظر الى هيلدا طويلاً وهي ايضاً نظرت
اليه ولم تلبث ان جالت الدموع في مآقيها . فقام جاك ودنا منها وجلس
الى جانبها واخذ يديها وضمهما . فارادت هيلدا ان تمنعه فابى عليها ذلك
وهو يقول — دعيني يا هيلدا اذكر جلوسنا في هذه البقعة
الجميلة قبل هذا العهد بعشر سنين وعلى الخصوص حينما كنا نجلس الى
بعضنا وايدنا بعضهما فنقضي وقتاً طويلاً في المحادثة والمغازلة . آه ما
احلى تلك الايام وما اهنأ هذه الذكرى

اما هيلدا فلم تجبه بكلمة بل ترقرق الدمع من عينيها وانّت اينناً

محرقاً . فارتجف جاك وقال لها — ايسوءك هذا التذكار ايها العزيزة؟
قالت — كلاً بل يحلو لي

قال — اما انا فعلى غاية الشكر لهذه النعمة التي ساقني اليوم الى
هنا ومتعتني بسعادة هذه الدقائق القليلة التي ذكرتنا بهناء ماضينا والتي
لن انساها ما حيت . وهل تذكرين يا هيلدا لما كنا مرة في البرية
ولم نشأ ان نسير في الطريق العمومية بل انتهجنا طريقاً غير مسلوكة
وسرنا فيها . . . وهل تذكرين وقتئذ كيف اخذنا في الغناء المطرب
وكيف بعد ذلك بلغنا احدى القرى فابتعدنا حليماً وشراباً وواصلنا سيرنا
الى الحرش . . . وهل تذكرين كيف تعانقنا هناك طويلاً . . . والخلاصة ان
كل ما مضى من حياتنا قد تمثل الآن لي ولذني تذكره . . . والان
ما لي اراك صامتة كئيبه ! تكلمي ايها العزيزة

ولما لم نتكلم اخذ وردة من باقة امامها وضربها بها على يدها قائلاً
تكلمي

فاجابت — لا تفعل هكذا يا جاك . ثم تنهدت وقالت — لم اعد
قادرة على البقاء فيلزمني الانصراف . وها اني اودّعك يا جاك وداعاً
ابدياً . لقد احببنا بعضنا وعشنا لبعضنا ثم قضى علينا بالفراق والحرمان
اما الان فلنعش للذكرى فقط ولا تحسب الماضي الاّ حلاًّ عبر

فقام جاك فطوّقها بذراعيه وقبلها طويلاً وقال : ولتكن
هذه القبلة التي افلتحنها بها محبتنا خاتمة لاجتماعنا وعزاء دائماً لقلوبنا وذكراً

حاولوا النفوسنا وليس لاحد ان يجرمننا هذه الذكري
ثم خرجا من الحديقة وافترقا فصار كل منهما في طريقه وهو
يحسب الدنيا كلها سجناً مظلماً والحياة عذاباً واصباً . ولما ابتعد الحبيبان
عن بعضهما ولم يعد الواحد يرى الاخر تنهد كل منهما تنهداً مؤثراً
لانه عرف انه لن يلاقى بعد حبيبته وقد يموت الواحد دون ان يعلم
به الاخر . بيد انهما كانا محبورين . لان سعادة الحداثة ما زالت
تربطهما وتعيد عليهما ذكرى الحب والولاء

*

ولما عاد جاك الى منزله وجد امراته جالسة في مخدعها تطالع
كتاباً امتدحه لها بالامس وقد وضعت بازائها رسم زوجها فكانت
وهي تقرأ تختلس النظر الى الرسم . وكانت هذه المرأة اكثر جمالاً
والطف قدماً من هيلدا وحبها لزوجها بالغ حد الافراط فلما رآها تنهد
طويلاً وجلس بازائها وقص عليها جميع ما جرى له مع هيلدا . ولم يكن
حديثه لها اعترافاً لانه كان يعلم ان لا اثم عليه ولا حرج فيما فعله .
وكانت زوجته تسمع كلامه بتمام الاصغاء وبدون انفعال . ولما فرغ
من حديثه قال لها الان قد تم . الان لم اعد اطيع البقاء في برلين
بل اريد مغادرتها . ثم عانقها وخرج . اما هي فلم تلبث بعد ذهابه ان
طرحت الكتاب من يدها وجمدت في مكانها وطرفها شاخص وقلبها
خافق وفكرها ساجح في لجج العواطف والوجدانات النفسانية

كانت هذه المرأة اقوى من كل امرأة . سواها . اقوى من كل حقيقة . ولكنها لم تعد تطيق ان ترى زوجها قلقاً مختاراً فعزمت على تسليته وخدمته فوق طاقتها

مشورات

❖ المرأة ❖

قال ويربارخ الشهير : ان آدم لم 'يحرم الجنة الا' بظهور حواء
ولكنه بذلك صار انساناً

❖ الغني البخيل والشاعر الفقير ❖

سأل احد مشاهير الاغنياء البخلاء شاعراً فقيراً ما بال اكثر الشعراء
فقراء ؟ فاجابه الشاعر على الفور - لانهم يصرفون ما لا ينصرف (اشارة
الى النحو) ولكن هل لك ان تفيدني لماذا انتم لا تفتقرون ؟ اجاب - لا .
فقال الشاعر - لانكم لا تصرفون ما ينصرف (اشارة الى المال)

❖ اظفار الانسان ❖

تنمو اظفار الانسان وتجدد كل اربعة اشهر ونصف . فمن ادرك

السبعين من عمره = رجلاً كان او امرأة = تجددت اظفاره ١٨٦
مرة . فلو ترك الانسان ظفر سبائه مثلاً واعتنى بنموه مدة ستين سنة
لبلغ طوله مترين

❖ الدفاع عن النفس ❖

جاء رجل الى المحكمة متقلداً سيفه فسأله القاضي عن سبب
ذلك فاجاب - لانك امرت في رقعة الطلب ان احضر للدفاع عن
نفسي . وليس عندي من وسائل الدفاع افضل من هذا السيف

❖ بصيرة العقل ❖

قال ارسطاطاليس : على قدر بصيرة العقل يرى الانسان الاشياء
فالسالم العقل يرى الاشياء على حقائقها والنفس اللئيمة ترى الاشياء
بطبعها وقال المتنبي

ومن يك ذا فمٍ مُمرٍّ مريضٍ يجدُ مُراً به الماء الزلالا

❖ تفنن النساء ❖

للجنس اللطيف في الذوق اللطيف عوائد ومستحدثات كثيرة
يقدرها كل حسب ميله وهواه . من ذلك عادة جديدة استحدثتها احسان
اميركا وهي نقش صورة الحبيب على اجسامهن ولا يخفى ما في ذلك من
التناهي في الرقة . اما اصل هذه العادة فهو ان احدى العقائل من فرط
هيامها بزوجها رسمت صورته على يدها فحذت كثيرات من ربّات الجمال
حذوها . غير انهن كنَّ يمحّسن عن طريقة لازالة هذه الرسوم عند

الحاجة . . . ولكنهم لم يتوقفن باديء بدء الى هذه الطريقة وسيدات
العصر يحبن كما لا يخفى تنوع الاشياء والتنقل من حال الى حال . .
واخيراً وجد احد المصورين طريقة لرسم الصور على الايدي بالفوتوغرافية
فجاء هذا الاختراع ملائماً لاذواق سيدات اميركا . ولم يلبث ان شاع
استعماله وصرت الان ترى على ايدي الجم الغفير من الاوانس والعقائل
صور محبين وذويهن . وعما قليل ستصبح تلك الايدي الناعمة
اللطيفة معرضاً للصور . وكل آت قريب

❦ خفقان القلب ❦

للبياء زهير

لا ننكروا خفقان قلبي والحبيب لدي حاضر
ما القاب الا داره دقت له فيها البشائر

❦ بين خادمة وسيدها ❦

الخادمة — لم اعد اطيع الاقامة مع زوجتك فارجوكم ان تقبل



استعفائي

السيد — اصبحت ايتها الابنة فانت سعيدة لانك ستخلصين من

جورها وحبذا لو استطعت انا ايضاً تقديم استعفائي منها مثلك



شقاء الملوك

رواية اجتماعية غمرانية

المقدمة

هذه الرواية تتضمن من العبر والحكم تحت ثوب اللهو والفكاهة ما يجعلها من انفس الذخائر فانها تمثل باسلوب شائق حالة الملوك ونسبتهم الى الرعية وواجباتهم نحوها ونسبة الرعية اليهم وحقوقها عليهم وما يتصل بذلك من شؤون الملك واحوال رجال الدولة والبلاط وقوة الشعب بصور مختلفة تنطبق على الحقيقة يتخلل كل ذلك حوادث مشوقة

ومباحث فلسفية اجتماعية يستعذبها السمع ويتعشقها الطبع ألفتها ماري كورلي الكاتبة الانكليزية الشهيرة ونقلتها ز. جورافسكايا الى اللغة الروسية بعنوان (تحت نير السلطة) فأخصتها انا من الروسية باسم (شقاء الملوك) وتصرفت فيها بزيادة واسقاط وتغيير وابدال وتبويب وغير ذلك لتوافق ذوق القراء . فعسى ان يتلقاها ابناء العربية بما هي اهل له من الايثار والاقبال وعلى الله الاتكال

خليل بيدس

الفصل الاول

في بيان ما تحت يده

ان تأمل الانسان في السؤال هذا الكون العظيم ودقق في اسرار الطبيعة ومكنوناتها راى ان يعرف ماهية وجوهه وغاية حياته وسار في مناهج الحياة سيرا منطقيا على نظام الطبيعة لعاش العيشة السعيدة المديدة . غير انه بايابه واسوء حظه ابى الا معاكسة السنن الطبيعية . فهو بمعارفه القليلة والاسباب تافهة واعواء غاتية ينشر الى الدين والاداب والاحكام والشرائع نظرا مخائفا كل المخالفة للوضع الطبيعي . ولهذا ثم سبب يرى الانسان منذ اول حياته الى اخرها مجهودا باختراع الذرائع والوسائل لمكافحة الطبيعة واخضاعها او للتفوق عليها بسائر ضروب الكر والحياة . ولكنه يموت اخيرا مغلوبا مقهورا . وكل تلك الاحكام والشرائع والحنسرة والعادات والحقوق التي سننها ورتبها تكون مدمرة في كل لحظة باشد الاخطار والدمار كقرية النمل التي ان تكون بالامس عامرة باهلها تصبح مدمرة مدمرة . وهكذا الانسان فانه دائما يشتغل ودائما يخترع ولا يكاد يأخذ لنفسه راحة بيد ان يد الطبيعة القادرة تلاشي من اعاليه كل ما هو مخالف لاحكامها ووزايرها . لانها عاملة في الكون تبتة لا تنير بتغير الزمان

ولا تبدل بتبدل الاعصار . ومثلنا في كل ذلك مثل اولاد مدرسة
وقد جلسوا ليحلوا عقدة رياضية فعليهم ان يتوصلوا الى نتيجة معلومة
ولكنهم يتلبكون وتلبس عليهم المعدادات ووجوه العمل في
يتأتى لهم ايجاد الجواب الحقيقي وفي اثناء ذلك تمحو يد المعلم
اللوحة كل ما هو مكتوب عليه وترقم لهم من جديد الاعداد الرئيسة
في المسألة ولا يزال هذا شأنهم حتى يفقهوا اخيراً العقدة المطلوبة ويتوق
الى حلها على الوجه الصوابي

كذلك ابناء هذا العالم . فسر عدم نجاحهم في مغالبة الطبيعة
منحصر فيهم فقط . لانهم في سعيهم الى المدنية والحضارة لا يخذ
الخطط المجارية للطبيعة بل يتخذلقون ويختطون غيرها توصلاً
ادراك منافع آخر ذاتية ومصالح مادية . وهم في كل ذلك على مذهب
متباينة واطوار متفاوتة

هذه التأملات وما يتشعب عنها من الاغراض والمسائل ك
ما تعرض لكثيرين من اصحاب العقول والمدارك فتحملهم على ق
الساعات والايام في التأمل والتفكير بجالة الانسان ونسبته الى هذا الك
العظيم وسر وجوده فيه الى غير ذلك من الاسرار الغامضة التي
دون توسمها بصائر الحكماء وضلت في تتبع آثارها رواد البحث

*

في اليوم الاول من سياق هذه الرواية كان رجل تبدو عليه

العظمة وجلالة الشان جالسا على احدى شرفات قصر ملوكي نخيم يطل على البحر . وقد كانت تلك المسائل والتأملات خطرت في باله قبل ذلك الوفا من المرات . وهو في كل مرة يريد ان يستطلع سر حياته ونسبته الى المجتمع ويعرف غاية وجوده وحالته وقيمة اعماله . ولما مضى عليه في هذا النهار ساعتان كاملتان وهو هائم في اودية الافكار والخواطر فطن لكلمات قالها احد اذكاء بطانة الملك لودوفيك السادس عشر وهي (ما الفائدة من التفكير ؟ ان ذلك يسيء ظنكم بغيركم وبنفسكم)

وقد رأى الجالس في الشرفة ان هذه الكلمات تنطوي على حكمة فائقة وعدل حقيقي . لان كثرة التفكير تملأ القلب ثعباً وتلبس الانسان ثوب الضنى والشيخوخة قبل اوانه وتكسو الجسم سقماً ونحولاً . فالتفكير اذا عادة مضرّة وهي كما يقولون لا تلائم اعظم هذا العالم لان آفة الانسان ظنه . وقد علم هو ذلك منذ زمان فكان وهو في سن الحداثة يتجنب هذه العادة بكل قواه . غير انه مع الايام والاعوام صار يرى كان حجاباً سدل على سبيل حياته المملوء زهراً وورداً واخفاءه عن بصره بينما كان حجاب آخر يرتفع رويداً رويداً كاشفاً له آفاقاً جديدة غير مفرحة . وذلك لانه رأى بعد ارتفاع هذا الحجاب او هذه الضبابية عن عينيه ان حياته الماضية قد انقضت بدون فائدة تذكر او اثر يشكر وكان البحر يتلالا منبسطاً امامه كأنه بساط من اللازورد وقد انبت فيه السفن والزوارق فحاكت الكواكب في القبة الزرقاء . غير انه لم

يحفل بهذا المنظر البهيج بل ظل غائصاً في تيار افكاره وقد بدت على
حياه سمات الغم والقنوط ولسان حاله يقول (ليست السمادة في
العظمة والسلطة :)

وكان يحيط بالقصر حديقة غناء واسعة الأرجاء ممتدة الادراج
قد كسيت ارضها بالنباتات والازهار وخيول فوقها اشجار . وكان
البستاني في هذا الوقت يجول بين اغراس النرجس والياسمين فيقتطف
منها ما يراه صالحاً لتزيين مخدع القصر ودعوى يجسر ان يرفع نظره
الى الشرفة تهيئاً واجلالاً . واما الجالس في الشرفة فكان يتأمل
بانه غير عالم بوجود البستاني بالقرب منه . وعلى هذه الصورة كان
هذان الرجلان المصنوعان من طينة واحدة والمذان سيجوان بعد الموت
الى رماد واحد مثلاً امام السماء وامام انفسهم دوراً مضحكاً . ذلك لان
الشريعة والعادة وسائر دواعي الحضارة وحيل المدنية قد جعلت بينهم
سداً كبيراً ناهية الادنى عن الكنا مع الاعلى من غير ان يوءر بذلك
منه وناهية الاعلى عن محادثة الادنى لئلا يشمخ وتكبر نفسه وهكذا فان
هذين الرجلين اللذين لم يكونا من الطبيعة الا انسانين قد جعلها الانسان
نفسه مرأيين . فاحدهما كان بستانياً والآخر ملكاً . وهما والوف
وملايين غيرهما من الخلق يعيشون في هذه الدنيا بتلك الوجوه المستعارة
او وجوه المساخر التي لم تخرعها الا يد الانسان

الفصل الثاني

القصر

« هذا هو عملي ان اكون ملكاً » — هذه الكلمات قالها احد شهداء العظيمة من ملوك فرنسا وبين وقد كان يستحيل عليه ان يجد عملاً آخر يجعله اكثر سعادة وراحة لان السلطة الملكية ليست مهنة يجوز ان يتركها صاحبها ويستبدلها بغيرها على هواه فهي تعب شاق ومضجر وقد خصص لها افراد مدودون تعينوا لها منذ الولادة فيهم مضطرون ان يتهياؤوا لها ويحيوا لها ويموتوا بها

قال احد ملوك الرومان وقد ضجر في احد الايام (ماذا ينبغي لي ان اعمل اليوم فقد سئمت ايضاً من قتل اعدائي) مسكين هذا الملك . فانه لم يقدر ان يرى عملاً يعود عليه وعلى رعيته بالخير والصلاح اكثر من التمثيل بالاعداء فكأنه انما وجد للانتقام فقط والاغرب انك ترى اشخاصاً يجودون بالنفس وكل نفيس ويأبون الحرية الشخصية وراحة الضمير لاجل ان يجلسوا بضعة اعوام او بضعة ايام على عرش السلطة لانهم يتوهمون ان الملوك هم اسعد البشر حالاً . .

*

وكان البستاني قد جمع ما اراد من الازهار واجتاز في الحديقة مختفياً عن الابصار

وبقي الملك وحده . وهي احدى المرات النادرة . لانه لم يكن

يجوز له ان يبقى وحده لئلا تغتاله يدٌ غير منظورة . فكان على الدوام محاطاً ببعض رجال البلاط والحراس . غير انه بقي هذه المرة وحده بدون رقيب لانه اخبر كاتب سرّه انه مضطّرّ ان يخلو بنفسه ليفتكر ببعض شؤءون تتعلق بذاته فقط

اما القصر الذي كان فيه هذا الملك فهو من القصور الفخيمة الجامعة بين سائر اصناف الابهة والعظمة . وقد بناه ابوه الملك من الرخام الناصع وجعل فيه من الاعمدة الرائعة والزخارف البديعة بما على سقوفه وجدرانه من الالوان والرسوم ما يحير الالباب وياخذ بالبصر . وهو يطلّ من جهات ثلاث على الاوقيانوس وقد حوى من الاثاث الفاخر والرياش الثمين ما يكل عنه الوصف . فمن ذلك مائدة كان يكتب عليها الملك بعض الاحيان رسائله واوراقه وهي لو بيعت لقاتت بثمنها مدينة كاملة سنة كاملة . وهكذا قل عن غيرها من الاثاث والانية والعاديات والمفروشات والبدائع والتحف والجواهر وسائر انواع الترف والزينة ما لو بيع وأنفقت اثمانه في وجوه العمران والخير لا كسبت البلاد مجداً اثيلاً وعزاً جليلاً لكن الذنب هنا ليس على الملوك فقط بل اكثره على الرعايا الذين يريدون ان يكونوا تحت سلطة ملك . وما هو في الحقيقة الاّ اسير المملكة وقد أوثق بالعرش كما يوثق الاسير بجنازير الحديد غير ان الملك يتميز عن الاسير بحلته الفاخرة وتاجه المرصع بالجواهر واليواقيت والرعية تقدم له معاشاً كبيراً هو الضربة الكبرى

وهي لا تعلم ان هذا المتوج والمرتدي تلك الحلل الثمينة والجالس على
العرش انما هو انسان

الفصل الثالث

❖ حادثة الملك ❖

ان تدبير الممالك في هذه الايام قد اصبح شاقاً لان السلطة
المطلقة الحقيقية قد زالت وليس لاحد ان يعيد عهدا ولو كان اشد
جبايرة الارض . اما في الازمنة الغابرة فقد كانت السلطة العليا ذات
معنى وفائدة . فلم يكن يتسلط على الامة الا اقوى رجالها حنكة وتديراً
واشدهم بأساً وبسالة . وكان هذا المتسلط يقود جيوش بلاده بنفسه
الى مواقع القتال جاعلاً نفسه مثلاً لهم في كل امر غير ان حضارة
الانسان قد نسخت هذه العادة القديمة كما نسخت غيرها من العوائد
الحسنة والمزايا الفريدة . وصار الملوك بفضل هذه الحضارة يتسمنون
عرش السلطة بمحق الولادة ليس الا . بحيث لا يُنظر الى الملك اهو
حكيم عاقل عارف بتدبير المملكة صحيح الجسم ام هو جاهل عاتٍ ظالم
قليل الادراك عديم المعرفة عليل الجسم !!
غير ان الملك المذكور آنفاً كان خالياً من كل عاة عقلية او

جسدية . وقد كان لائقاً ان يُقام ملكاً حسب المبدأ القديم لانه كان شديد البأس قوي العضل طويل القامة جميل المنظر رائع العينين فضلاً عن انصافه بمصافة العقل وثقوب الذهن واصالة الراي وغيرها من السجايا الفريدة ومحاسن الآداب التي ظهرت فيه وهو لم يزل ولياً للعهد . فقد كان وهو في سن الحداثة يدهش الكثيرين من رجال البلاط بأسئلته ومبادئه . وكان له وقتئذ استاذ طاعن في السن ادرك الغاية القصوى من العلم والفلسفة . فكان ولي العهد يحبه ويعتبره ويميل الى معاشرته ومسايرته وكان الشيخ يحب تلميذه حباً فائقاً ويتوسم فيه انه سيكون بعد وفاة ابيه ملكاً حقيقياً محباً لخير رعيته وبلائه . ومرةً بينا كان الاستاذ جالساً الى تلميذه يحادثه في شئون مختلفة سأله التلميذ قائلاً : — ارجوك يا حضرة الاستاذ ان تفيدني ما هو الانسان ؟

فاجاب الاستاذ — الانسان هو كائن مزين بالعقل والادراك والمواهب الطبيعية وقد وصل بكل ذلك الى ما نراه عليه اليوم من العظمة والسيادة

قال — وماذا تعني بالسيادة ؟

قال — اريد بذلك انه اصبح اعلى من باقي اصناف العالم الحيواني

قال — وهل هو بالحقيقة كما ذكرت ؟

(ستأتي البقية)